مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم: 02، جوان 2025، صص: 109- 120
تاريخ الاستلام (2024/04/01) تاريخ القبول (2025/05/22) تاريخ النشر (2025/06/30)

قراءة في المنهج التاريخي ،حديث الأربعاء لطه حسين نموذجا

A Perusal in the Historical Mebthod: 'Wednesday Hussein as a Model Talk' by Taha

قزيم نورة[1].
مخبر علوم اللسان
[1] جامعة الجلفة (الجزائر)، noura.gozim@univ-djelfa.dz

ملخص:
المنهج التاريخي منهج سياقي، يعتبر من المناهج النقدية القديمة التي تنظر للعمل الأدبي من وجه خارجي يبرز تاريخ العمل الأدبي، فهو يعتبر رؤية للعالم من وجه تاريخي وسياسي يبرز لنا أيضا السياق الخارجي لما كان يعيشه المبدع وكذلك أثر الطبقات في إنتاج ذلك العمل الأدبي رغم اضطراب الدراسات في إنتاجية العمل الأدبي ضمن المنهج التاريخي ورؤية أن الأدب وثيقة تاريخية ورؤية للعمل الأدبي من نحو ذلك، نجد بعض الدراسات المتميزة في ذات الخطاب منها دراسات الدكتور طه حسين، حديث الأربعاء نموذجا.

كلمات مفتاحية: منهج تاريخي، طه حسين، جدل، حديث الأربعاء

Summary:
The historical method is a contextual approach and is considered one of the older critical methodologies that examines literary work from an external perspective, highlighting the history of the literary piece. It provides a worldview from a historical and political angle, also illuminating the external context of the creator's experiences and the influence of social classes on the production of that literary work. Despite the inconsistencies in studies regarding the productivity of literary work within the historical method and the perspective that literature serves as a historical document, we find some distinguished studies in this discourse, including those by Dr. Taha Hussein, with "Wednesday Talks" as a prime example.

المؤلف المرسل: قزيم نورة، الإيميل:noura.gozim@univ-djelfa.dz

Keywords: Historical method, Taha Hussein, debate, Wednesday Talks

1. مقدمة :

يعتبر المنهج التاريخي من المناهج السياقية التي تعتبر العمل الأدبي وثيقة خارجية تبرز السياق التاريخي والسياسي للمنجز الذي أنجزه الأديب، فهي تخرج بالعمل الأدبي من كونه وثيقة أدبية، إلى أنه وثيقة خارجية تاريخية، كما أنها تبرز سياق الكاتب وأحواله وتأثره بالأحوال الخارجية في إنتاج العمل الأدبي، فماهي ملامح المنهج التاريخي في الدراسات النقدية، وكيف سنستطيع أن نبرزه في اطلاعنا على وجه من أوجه عمل الدكتور طه حسين؟

2.في المنهج التاريخي:

مع بدايات إرهاصات الحداثة ظهرت المناهج السياقية وبدأ مولدها بالغرب، ولكنها لم تحفل بالخطاب الأدبي كثيرا كونها لم تعتبر الخطاب الأدبي إلا وثيقة معلنة للخارج، فظهر في بادئ الأمر المنهج التاريخي.

يعتبر المنهج التاريخي منهجا نقديا غربيا بامتياز خاصة مع الثورة العلمية التي سعت إلى دراسة تطور أنواع الكائنات الحية، حيث «لم يكن الأدب بمنأى عن هذا التأثير بعد أن خطف بريق التطور أبصار أهله ومن ذلك محاولة الناقد تطبيقها على الأدب ومحاولة التنقيب فيه ودراسة التطور عبر نظرية لداروين وتطبيقها على الأدب ولقد درس هذا كله في كتابه» [1].

يعتبر كل من الناقدين سانت بوف وهوبلت تين من رواد المنهج التاريخي، حيث أن سانت بوف كان أول ناقد يسعى لتأريخ الأدب، فيتمثل في ميله الخاص نحو دراسة شخصيات الأدباء فقد كان شديد الإيمان بعلاقة الحياة بين الأديب وأدبه[2] و لقد سعى إلى احتواء دراسة عن الشخصية المبدعة وإبراز خصائصها، ثم تصنيفها كأطوار ضمن صفات متشابهة على غرار تصنيف الكائنات الحية.

وهيبوليت تين الناقد الثاني الذي سعى إلى وضع الدراسة التاريخية، ولقد كان أكثر صرامة في تأسيس الوضع العلمي، ويرى أن الأدب ثمرة صاحبه، أي أنه معبر عن أحواله ويرى أن الطبيعة هي التي تخضعه لذاتها، لذا فهو ليس إلا صورا من صورها ويرى أن القوانين التي يخضع لها الأدب لا تخرج عن ثلاثة (الجنس، البيئة، العصر، ويرى أنه يعود له الدور الحاسم في تكوين الأدباء وتميزهم)[3].

يرى أيضا أن محاولة فهم الأدب تقتضي العودة لبيئته الأولى وذلك ما يسمح بفهمه وإدراك ماهيته، كذلك من رواده (غوستاف لانسون (1857-1934) هو الرائد الأكبر للمنهج التاريخي حيث قدم سنة 1909 محاضرة في جامعة بروكسل (حول الروح العلمية منهج تاريخ الأدب)

وأعلن فيها عن المنهج التاريخي كطليعة للدراسات وقد قام عمله بدراسة الأدب وعلاقته بجميع الظروف المحيطة ودراسة جميع الأعمال المزامنة لإنتاجه والبحث عن الدلالة الأولية للنص) [4].

هذه المحاولة التاريخية لدراسة الأدب تُخضع الأدب لعدة دراسات يكون فيها العلم له واجب التقصي والتنقيب، كذلك محاولة معرفة الحياة السائدة في ذلك العصر، كذلك البيئة أيضا لها دور في فهم العمل الأدبي فكل بيئة لها تأثير خاص على الأثر الأدبي، فالبيئة الصحراوية تختلف عن البيئة الأندلسية وبيئة العصر الجاهلي تختلف عن البيئة العباسية، وهذا الحكم يقتضي العودة لمعرفة صحة العمل الأدبي من غير ذلك ونسبته لمبدعه فالبيئة المشابهة للعمل الأدبي في ذلك العصر هي من تصدق أن العمل الأدبي للمبدع، كذلك ألغى هيبوليت مبدأ العبقرية الفردية أو العمل الفردي فكل عمل لديه يخضع إلى مبدأ الجنس أي أن السلالة العرقية للفرد هي التي أنتجت العمل، وذلك ليس بالصحيح ففي البيئة الواحدة يوجد العديد من الفروق بين الأشخاص، أما في عالمنا العربي فكانت مسايرة الغرب هي التي طبعت العصر العربي فحذو حذوا المنهج التاريخي، بعيدا عن قوقعة المنهج الفني أو الذوقي الذي أشبك على صدورهم ردحا من الزمن، كما تجلى في الأدب الغربي على يد (تين) و(بوف)، فدعا نفر من النقاد العرب إلى دراسة بعض مظاهر الأدب العربي ونصوصه وفقا للمنهج التاريخي، ومن هؤلاء النقاد عباس محمود العقاد (شعراء مصر وبيئتهم في الجيل الماضي)، وطه حسين في عدد من كتبه ودراساته، ككتابه(مع المتنبي) وذكرى أبي العلاء، وحديث الأربعاء، والشعر الجاهلي والأدب الجاهلي، ولقد تمثل طه حسين في كتابته الأدبية هذا المنهج وذلك لتأثر الكاتب بالمنهج الديكارتي القائم على الشك، كما أنه طغى في عودته بالتاريخ إلى غير حقيقته في أحيان كثيرة وهذا ما سنعرفه في أسطر لاحقة .

يخضع هذا المنهج التاريخي أيضا لجملة من المعطيات التاريخية الموجود في الدراسة في العمل الأدبي كما يُخضع العمل الأدبي للإطار التاريخي، يبني فيه الأديب حُكما عن ما مضى

من خلال تلك الدراسة التاريخية، ويرى السيد قطب أن المنهج التاريخي يجب أن يخضع للمنهج الفني والذي يقوم على الذوق (إن المنهج التاريخي لا يستقل بنفسه فلابد فيه من قسط من المنهج الفني، فالتذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية في كل مرحلة من مراحله) [5] أي أن هذا المنهج التاريخي في دراسته لن يتخلى عن الذاتية والحكم والتذوق من قبل الناقد.

يرى السيد قطب أيضا أن إخضاعه إلى مبد أ الاحتكام والاستقراء الناقص والأحكام الجازمة والتعميم العلمي خطأ، وهذا الخطأ الجسيم وقع فيه كثير من الأدباء العرب في استقراءهم للمنهج التاريخي وحوراهم للنصوص الأدبية، ومن أمثلة هذا الخطأ يُضرب مثلا كتابة طه حسين عن شعر المجون وضربها مثلا لروح العصر العباسي، وذلك في كتابه حديث الأربعاء [6]

كذلك يرى أن من أخطار المنهج التاريخي (التعميم العلمي على إثر انتصار المناهج العلمية في الحياة البشرية فالسعي لدراسة الأدب دراسة علمية شكل خطرا على الأدب فمحاولة دراسة نظرية التطور على الأدب وتطبيقها، مثل تطبيقها على الكائنات الحية، ثم السعي لبناء حقائق حقيقة تشكل خطرا على الأدب)،

فالأدب ليس كائنا حيًا ولا كائنا خاضعا للحقيقة، بل قائم على الشعور والأحاسيس في مجمله، وعلى التنميق و البهرجة، ولا يأتي للشاعر أن يقف في حيز الحقيقة لأنها ستبعده عن جمالية اللفظ وبلاغة المعنى، إن هذا الحكم العلمي الصادر عن المنهج خطير لأن الأدب غير العلم)[7]، للأدب خصائص خاصة تجعله يبتعد فيها عن العلم والحقيقية، فهو يركن للمشاعر والأحاسيس التي تغض الطرف عن كثير من الحقيقة في سبيل بناء جماليتها، إضافة إلى أن العلم يتميز بالصرامة وبناء المادة والتجرد من الذاتية وهذا مالا نجده في الخطاب الأدبي، فالأدب غير العلم صنعة وتصنيعا إضافة إلى أنه في حاجة إلى الحقيقة في جوهره وبناءه وتشكله وقبوله .

من أخطار المنهج العلمي التي يوردها السيد قطب ويراها أنها أخطر الأخطار هي (إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية)[8] وهذا مرده أساسا إلى الثلاثية التي وضعها تين في المنهج التاريخي وهي أن البيئة هي : الجنس والعصر و هي المسؤولة عن إبداع الشخصية، وأن الشخصية إنما هي انعكاس لذلك ولا أثر لعبقريتها أو خبرتها في العمل الأدبي.

إن المدركات العلمية التي عمل المنهج التاريخي على إنشائها هي الدراسة التاريخية للآداب وإعادة تصنيفها كذلك تقديم أرضية صالحة للنقد من أجل دراسة الأعمال الأدبية ومقارنتها وتحديد أوجه التشابه و الاختلاف بينها رغم ذلك، فالمنهج التاريخي كان يحتاج إلى كثير من الأدوات الإجرائية من أجل عمله وتنيبه وهذه الأدوات لا يجدها في العالم الأدبي، ولكن يجدها في العلم، و تبقى المعضلة أن الأدب مختلف تماما عن العلم (والبحث في الأدب يقوم على إدراكه من قبل هذه العلوم على إضافة الشيء الجديد للمادة المدروسة حيث يكون تابعا لشيء قد تم ولا يمكن إضافة الشيء الجديد للأدب وهذا من عيوب المنهج التاريخي، و من إيجابيات دراسة التاريخ الأدبي ومحاولة اكتشاف ما مرّ به الأدب من مراحل وكشف عن المصطلحات الأدبية وجذورها)[9]، فهنا أصبح النص الأدبي مجرد شاهد على الحوادث التاريخية والسياسية و مبينا لمجرى التاريخ في أحوال الدول، فخرج عن كونه لغة أدبية جمالية لها سمتها الخاص و الذي يظهرها كخطاب أدبي فيه ما يطرب الذوق و يستميل القارئ وذلك من بلاغة في لفظه وكثافة في معناه، فهنا النص الأدبي مرهونا لوضع حقيقة تاريخية لا للتزايد بلفظه وبناء جماليته.

من عيوبه أيضا أنه ينطلق من مبررات للأنا لدراسة تاريخ الأدب أي أنه يضع فرضيات لا يحيد عنها من أجل أن يبرر قوله (فالتاريخ الأدبي لم يعد عملية تتضمن عدة عمليات بل أصبح مجموعة من الأجزاء الإستيكاتية والأفكار التي يفرضها الباحث على التاريخ والأدب فرضا) [10]،فهنا أصبح الأديب أيضا قاصا وواضعا للتاريخ ومعبرا عن أحواله بما يقوله هو في أحيان كثيرة لا بما يجده من أحداث تاريخية حقيقية.

رغم السلبيات التي نوقشت كثيرا في هذا المنهج إلا أنه كان حفيا بالإطراء من جوانب أخرى، كونه أعاد بعث أعمال أدبية مرّ عليها الدهر وأعاد دراستها والتنقيب في جماليتها، كذلك هذا البعث يؤدي إلى دراسة أعمال أخرى في المجال الأدبي من أجل نفي ما توصل إليه المنهج النقدي هذا أو التأكيد عليه، كذلك يجعلنا نصل إلى نقطة قريبة من العمل الأدبي تجعلنا نكاد نصل إلى معناه الصحيح، وتأويله الحقيقي الذي أصبح السراب في عصرنا الحديث.

كذلك يجعل الصورة ملونة لنا بالأحداث وبالعصر وكل هذا بعد معرفتنا ببيئة العمل وظروف إنتاجه.

3.الجدل في أدب الدكتورطه حسين:

أدب طه حسين الذي كان فيه العودة لتاريخ الأدب العربي ودراسته والتنقيب فيه، أثير فيه الجدل الكثير، لما يحمله من أحكام جديدة في حق الأدب العربي، والذي كان في كثير من الأحيان يعصف به إلى درجة أن يخرجه من دائرة الوجود، ولقد شهدت كتاباته جدلا واسعا، ولكن ذلك لا يمحي كونه مفكرا رفيعا ومتميزا إن نظرنا إلى أدبه، كونه ذا أسلوب أدبي متميز ومحمول بالألفاظ والمعاني المشحونة التي هي أيضا بحاجة إلى التنقيب والبحث لتبين أن طه حسين، وإن كان يؤخذ عليه ما قال ولكن ذلك لا يمنعنا أن نعترف بفرادته الأدبية والفنية وبأسلوبه المتميز، طه حسين فكر مأخوذ بالغرب، وهذا ما شكّل الفارق بكتابته وأدخله في دائرة الشبهة، فلنتمعن في رده على صديق له يصف الأدب بالصعب، وأنه صعب المراس وصعب الفهم ومرده إلى ذلك أن بيئتهم غير بيئة عصره وأن تكلفة الشباب بقراءة الأدب القديم هو محض جهل وتكليف لا يطاق، فيقوم طه حسين بالرد بحكمة وتفكر وأن مردّه ما قاله صديقه هو التعود على الحياة التارفة السهلة التي تأبى الصعاب (والناس مفتون بالسهل متهالكون عن القريب يكرهون الجهد ويفرون من التعب، والحضارة الحديثة تغريهم بهذا فهم لا يمشون إذا يستطيعون الركوب وهم لا يتخذون القطار والسفينة إذا استطاعوا اتخاذ الطيارة) [11].

طه حسين يشجب الحياة التي أصبحت تبعدنا عن الأدب القديم وذلك مما لا يريده فدعوته هي أن يكون الأدب القديم بين أضلعنا يحيا بفكرنا وحياتنا، وهذا بعلمه أن الأدب القديم فيه من الكنوز ما يخدم أدبنا الحديث وفكرنا وحياتنا، وأيضا الصحيح أن الحياة التارفة والتي أصبح فيها السهل بكل ممرات حياتنا جعلنا لا نتطلع إلى الأدب القديم إلا كالمستحاثات التي نتطلع إليها ونركز في شكلها لا في مضمونها، ونخرج من متحفها ونحن تحفنا هالة ما رأينا دون أن تأخذنا أنفسنا للبحث فيه وتنقيبه واكتشاف جوهره، إن لطه حسين رؤية جوهرية في مسألة الحداثة فهو يدرك ككل مفكر متقد البصيرة أن التراث ليس مجرد متاحف بل هو أعمق من ذلك، فهو متعلق و متجذر في الذات الإنسانية فهو مرتبط بالهوية العربية كما أنه السلاح في مجابهة أسهم العدو الفكرية التي وجهتها صوب الهوية العربية (ونحن لا نحب أن يظل الأدب القديم في هذه الأيام كما كان من قبل، لأننا لا نحب القديم من حيث هو قديم ونصبو إليه متأثرين بعواطف الشوق والحنين بل نحن نحب لأدبنا القديم أن

يظل قواما للثقافة وغذاء للعقول لأنه أساس الثقافة العربية فهو إذن مقوم لشخصيتنا محقق لقوميتنا عاصم لها من الفناء في الأجنبي معين لنا على أن نعرف أنفسنا) [12]

ما يورده طه حسين هي جملة قول يتفق عليها معظم مفكري العصر، للتراث أهمية كبيرة لا يستغنى عنها، فهو موردنا وبطاقة هويتنا على هذه الأرض كما يرى طه حسين أن التراث هو غذاء لعقول الشباب، فهو يحمل كنوزا قيمة تنهض بالعقول والفكر، وبالتالي تحريك عجلة التطور والنهضة الشاملة للمجتمع والوطن عامة.

كما أن الحضارة تحمل الكثير من السموم الموجهة لعقول الشباب ولن يكون النجاة منها إلا بالعودة التراث.

4.طه حسين وحديث الأربعاء:

أقام طه حسين في عودته إلى التراث بجملة من الأفكار التي كان يراها نتيجة لتنقيبه في التاريخ الأدبي وهذه الأقوال أوردت عليه الكثير من المشاكل والهجمات ولقد وضع قوله اقتداء بالغرب الذي كان دراسة ديكارت القائمة على الشك هي مدرسته رغم معرفة طه حسين للمشاكل التي يوردها في كتاباته فهو لم يستنكف عنها ومرده إلى ذلك إلى أننا نحتاج إلى قراءة جديّة لتراثنا.

يعلم طه حسين أنه بوصفه العصر بالمجون وإقامته المنهج التاريخي لدراسته الأدب العربي والتعنت في إصدار الأحكام، كل ذلك لا يعجب النخبة الكثيرة من الأدباء والنقاد وسيلقى عليه اللوم بذلك، فيقول (أولئك يغضبون لأني أصف العصر العباسي بالمجون والشدة وهؤلاء يغضبون لأني أقدم أبا نواس والحسين بن الضحاك على بشار، وسيغضب قوم آخرون لأني سأنكر طائفة من الشعراء أو سأجحد بعض شخصياتهم) [13]

إن هذا الحكم الذي وضعه طه حسين على العصر العباسي الذي رده بعد تقصيه لبعض عينات الأدب العباسي حكم جائر عُمّم على سائر العصر ولم تشفع له كونه مجرد دراسة تاريخية تقوم بجانب كبير على نقد فني لصاحبها، وليس له من العلمية الجانب الكبير لأنه لا يقوم على الحقائق ولكن طه حسين يبرر قوله أنه قائم على العلم ونحن رأيناه بعيد عن العلم، لأن العلم قائم على حقائق يقنية ومصادر ثابتة وليس عن قراءة الأدب الذي في غالبية نشأته مبنية على الأحاسيس والعواطف والخيال، فهو يرد قوله أنه مرهون بالعلم لا

برضا العامة أو سخطهم، فلكأن قوله كان فقط رهانا للحقيقة، ولكن ذلك ما لم يضعه طه حسينا رهانا لقوله، بل جعل من فئة معينة ملمحا عامة لعصر بأكمله.

وفي ذلك توجه عديد الأدباء بالنقد الصريح لطه حسين في قولهم، ومن بين هؤلاء الأستاذ محمد عرفه يقول:(أخالفك في الحكم الذي حكمت به على القرن الثاني من أنه عصر شك واستهتار أخالفك في الحكم وفي طريقة استنتاجه، ويقول: ولقد توصلت إلى حكم العام على العصر الثاني باستقراء حال طائفة من الأدباء والشعراء المترفين، فرأيت فيهم الشاك والماجن فأخذت العصر بجريرة هؤلاء وحكمت بأن العصر عصر شك ومجون ووجدانها على صفة، لا يعني منطقيا الحكم على عصرهم جميعا بأن فيه تلك الصفة)[14].

يرى الدكتور محمد عرفه أن حكم طه حسين على عصر بكامله بصفة واحدة من أجل عينة بسيطة من تلك العصر هو حكم جائر في حقه، ثم يضرب مثالا بمن عاشوا بذلك العصر وفيهم الفقيه والإمام والزاهد وهو في مرتبة عظيمة قلاّ نظيرها في التاريخ العربي (فإننا اذا اتّبعنا سيرة الفقهاء والمحدثين والزهاد في هذا العصر وجدناهم على مرتبة عظيمة من اليقين والورع والاحتشام ففيهم الحسن البصري وعمرو بن عبد ومحمد بن إدريس الشافعي ومالك بن أنس وأبو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبد الله بن المبارك ورابعة العدوية وابن سيرين والشعبي و ما فيهم إلا من ملك نفسه وكان أنفع الناس للناس وسيرتهم في العلم والزهد والتقوى يعرفها من عني بدرس حياتهم)[15]

أما الدكتور عبد الحميد السعيد فإنه يرى في قول طه الحسين العجب العجاب وأنه يزين الرذيلة ويعمر حديثه على الزندقة والفجور بطريقة تأخذ بلب الناشئ القارئ فيقول :(فقد طعن على الخلفاء والعلماء من عظماء الأمة الإسلامية وشوه تاريخ الإسلام بحيث لم ينج من مطاعنة إنسان ولم يخص بثنائه في عصر الدولة العباسية الزاهر إلا هؤلاء الشذاذ من أهل الموجون والفحش) [16]

لقد بالغ طه حسين في كتاباته عن العصر العباسي وعن المجون حتى أدخله في دائرة الاتهام وأنه يشكل خطرا على الفكر العربي وهو الذي طالما حذر من التعاليم الغربية والفكرية وأوجب فيها أن يكون القارئ محتاطا منها وأن يكون سلاحه في حفظ هويته هو التراث.

وهذا مارده إلى حياة الترف التي يربطها بالمجون فلكأنه رأى في كل حياة مترفة سبيلا على المجون وليس غير ذلك إن هذا حكم جائر وضعه طه حسين صادر عن ملاحظته للحياة لا تم إلى الحقيقة بأي صلة.

وكل هذا سببه إلى أنه لم يقف بالأدب القديم بكل جوانبه بل وقف عند بضع منه، التي يجد فيها ما يريد أن يقوله، ويؤكد على أن في الشعر العباسي ما هو مبني على المجون وهذا ما وجده في شعر أبي نواس، ولو أنه أعمق البحث وقرأ أشعارا في الزهد لما حكم بذلك الحكم الجائر على العصر العباسي، لا يختلف اثنان أن العصر العباسي كان عصر ترف وانفتاح واختلاط وانفتاح على الفرس وغيرهم وظهور الشعر الماجن ولكن ذلك لا يردي أن يحكم هذا العصر كله بحكم فئة قليلة فإذا أردنا فلنقرأ شعر رابعة العدوية وأبي العتاهية والشافعي سنجد فيه من التدين ما يبقيه من النور نبراسا لكل متدين، وهل هذا سيجعلنا نحكم على العصر بأنه عصر تدين، كلّا، فكل عصر إنما هو عصر مليء بالاختلافات يقول طه حسين (إذن عصر شك في كل شيء وعصر مجون وإباحة وتهتك في الحياة العملية) [17].

كذلك طه حسين كان يرى أن أهم ما يلج به الباحث للتراث هو الشك القائم على تتبع الأحداث فإما أن يصل إلى اليقين أو إلى نفي ذلك رغم ذلك فإنه وضع من شكّه حقيقة يقينية لا تتزعزع يقول :(فإذا أخذنا أنفسنا بأن نقف أمام القدماء موقف الشك والاحتياط، فلسنا غلاة ولا مسرفين وإنما نحن نؤدي لعقولنا حقها ونؤدي للعلم ماله علينا من دين، وإذا كنا نطلب إلى أنصار القديم شيئا فهو أن نكون منطقين) [18]، وهنا كان في كتابه الشعر الجاهلي أيضا موضوعا لدراسته ولقد أورده من مبعث الشك لا اليقين فيه، فطه حسين في دراساته غير مأخوذ بما هو موجود من دراسات للأدب القديم إنما كان دائم التفحص والشك في كل ما يقرأ ويتحرى، وأن يجعل شغله الشاغل المعرفة، و أ لا تتوقف عجلة الدراسة أو البحث والتفكير، وأن يظهر التاريخ الأدبي بوجه حقيقي من منطلق البحث والتقصي، و لكن نجد أن في كثير من أحكامه غلوا وتجاوزا على مفاهيم واضحة وضوح الشمس في فكرنا الأدبي، وأنه أيضا جعل حكمه جائرا، فكان منظوره لفئة صغيرة هو حكم عام على عصر بأكمله مثلما وجدناه سابقا في حكمه على العصر العباسي.

ما نلاحظه في قول طه حسين هو التعنت لرأيه وحصر الحياة في المجون، رغم أنه في العصر العباسي يوجد ما يناقضه أيضا، وأنه لم يكن فقط عصرا مترفا بل هو عصر حضاري

أيضا وعلمي وثقافي، وهو ما نتمثله في ظهور علماء في ميادين مختلفة من الفكر و الأدب والبلاغة، كالجاحظ وابن المقفع وأبو العلاء المعري، وابن المبرد وغيرهم، إضافة إلى ظهور العديد من الفرق التي تدعوا إلى الزهد والبعد عن ملذات الدنيا، كذلك ظهور كوكبة من الشعراء المتميزين على طول الدرس الأدبي وكان فيهم أيضا من يدعوا إلى الزهد والبعد عن ملذاتها، منهم أبو العتاهية.

يقول ابي العتاهية في ديوانه:

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَاءِ؛....... كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَاءِ
فلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخيَّ، فإنّما...... يُرَى عاشِقُ الدّنْيا بجُهْدِ بَلاءِ
حَلاوَتُها مَمزُوجَةٌ بمَرارَةٍ؛....... وراحَتُها مَمْزُوجَةٌ بعَنَاءِ
فَلا تَمشِ يَوْماً في ثِيابِ مَخيلَةٍ...... فإنّكَ من طينٍ، خُلقتَ، وماءِ
لَقَلّ امرُؤٌ تَلقاهُ لله شاكِراً؛...... وقَلّ امرُؤٌ يَرْضَى لَهُ بقَضَاءِ
وللّهِ نَعْمَاءٌ عَلَينا عَظيمَةٌ،....... وللهِ إحسانٌ وفضْلُ عَطاءِ[19].

وقوله في أهمية الزهد في الزهد*والقناعة بما نملك في الحياة فهي دار فناء

أَلا نَحنُ في دارٍ قَليلٍ بَقائُها سَريعٍ تَدانيها وَشيكٍ فَنائُها
تَزَوَّد مِنَ الدُنيا التُقى وَالنُهى فَقَد تَنَكَّرَتِ الدُنيا وَحانَ انقِضاؤُها
غَداً تَخرَبُ الدُنيا وَيَذهَبُ أَهلُها جَميعاً وَتُطوى أَرضُها وَسَماؤُها
وَمَن كَلَّفَتهُ النَفسُ فَوقَ كَفافِها فَما يَنقَضي حَتّى المَماتِ عَناؤُها
تَرَقَّ مِنَ الدُنيا إِلى أَيِّ غايَةٍ سَمَوتَ إِلَيها فَالمَنايا وَراؤُها [20].

إن هذا الشعر هو الجانب الآخر الذي يمثل حياة الزهد في العصر لو أورده طه حسين أو وقف عنده ما كان ليكتب تلك الكلمات وإنما كان وقوفه على بعض النماذج من ذلك العصر هو ما جعله يكتب تلك المناقشات ويتهم العصر العباسي بالمجون.

الخاتمة:

المنهج التاريخي منهج مهم في تحرينا للسياق التاريخي للعمل الأدبي، ورغم أهميته في مورد تحري التاريخ للعمل الأدبي، إلا أنه يبتعد في تحريه للخطاب الأدبي عن دائرة الأدبية ويجعله وثيقة تاريخية تخبرنا ما يخبرنا به التاريخ لا غير، وهذا ما أبعد الأدب عن حقيقته الأدبية المنوطة بالجمال لا بالتأريخ.

الانطلاق من أن الأديب ابن بيئته يقاربنا لفهم العمل الأدبي ولكنه يجعلنا في حاجة إلى مزيد من المدركات في ذلك النص الأدبي لفهم العمل الأدبي الذي يكون في كثير من الأحيان بعيدا عن الحقيقة وقريبا من الخيال.

طه حسين يعتبر من أهم رواد النقد التاريخي وهذا ما نجده في أعماله من الشعر الجاهلي وحديث الأربعاء، طه حسين في قراءته للتراث وجد أن خير ما ينقب به عن الأعمال هو المنهج التاريخي لما له من علاقة وثيقة بالأديب والسياق الخارجي للعمل الأدبي الذي يظهر لنا البيئة التي عاش فيها الأديب، وكان مورده لذلك الأثر الأدبي، ولكن كل ذلك لا يلغي لنا ذاتية الكاتب في إصداره للأحكام والتعنت لرأيه حتى لو كان مخالفا للحقيقة وهذا ما وجدناه في مؤلفات طه حسين كحديث الأربعاء نموذجا.

بنى أيضا الدكتور طه حسين عمله الأدبي لما كان موجودا وموضوعا من أحوال الأمم

ولم يضعه رهانا للحقيقة التاريخية ووثائق التاريخ، وهذا ما جعل الأدب يدخل في صناعة التاريخ بغير وجه للحقيقة إنما مآله في ذلك صناعة للمنهج التاريخي، وهذا كان أيضا من سلبيات المنهج التاريخي.

ذلك لا يفند حقيقة أن المنهج التاريخي منهج مهم في فهم سياق العمل الأدبي ولكن لتكون له وتيرة متمكنة على دارسيه أن يقوموا بتقوية دراسته وتكامليته مع الدراسات النسقية للعمل الأدبي، ويخرج من كونه يضع لنا واقعا تاريخيا إلى أنه يشهد على واقع اجتماعي وظروف شهدها ذلك العصر لبناء هذا العمل الأدبي القيّم، فنستفيد من الأعمال التاريخية الأدبية في بناءها لبناء أعمال أدبية معاصرة تشع بلاغة وبيانا مثلما ما هو مسبوق من أعمال أدبية تراثية متميزة، والتنقيب عن أحوال الأمم ومعرفة أخبارها وأحوالها.

مراجع البحث وإحالاته:

[1] هويدي صالح، المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات مجلد الأول، دار نينوي -، سوري، ص80

[2] -مرجع سابق، ص 72

[3] - مرجع نفسه، ص 74

[4] -يوسف وغليسي.، 2002، النقد الجزائري المعاصر من الأنسنية إلى الألسنية. اصدارات رابطة الإبداع الثقافية -الجزائر، ص20

[5] -السيد قطب، 1996، النقد الأدبي أصوله ومناهجه (المجلد السادسة). دار الشروق-القاهرة، .1996.

[6] -ينظر، السيد قطب، 1996، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، مرجع سابق، ص167

[7] -مرجع نفسه، ص 167.

[8] -مرجع نفسه، ص 169

[9] -ينظر صلاح فضل ، 2002، مناهج النقد المعاصر، ميريت، المجلد الطبعة الأولى، القاهرة، ، ص43

[10] -سمير حجازي.، 2004، مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق، الطبعة الأولى سوريا، صفحة 134

[11] -طه حسين. حديث الأربعاء، 2012، هنداوي، مصر، ص20

[12] -مرجع نفسه، ص 21

[13] -المرجع السابق، ص184

[14] -انور الجندي، 2007، المساجلات والمعارك الأدبية، مكتبة الآداب-القاهرة، ص97.

[15] -المرجع نفسه، ص 100

[16] -المرجع السابق، ص100

[17] -طه حسين، 2012، حديث الأربعاء، مرجع سابق، ص247

[18] -طه حسين. الشعر الجاهلي.، 1926، دار المدى للثقافة.، القاهرةص171.

[19] أبي العتاهية، 2006، ديوان أبي العتاهية . بيروت : داربيروت للطباعة .بيروت، ص12

[20] -مرجع سابق، ص14

قائمة المصادروالمراجع :

1) أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.
2) سمير حجازي.، مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق، الطبعة الأولى، ، سوريا.
3) السيد قطب.، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، المجلد السادسة، دار الشروق -.القاهرة، 1996،
4) صلاح فضل مناهج النقد المعاصر، ميريت، المجلد الطبعة الأولى، القاهرة.
5) طه حسين، . الشعر الجاهلي، دار المدى للثقافة.ا-لقاهرة، 1926.
6) طه حسين، . حديث الأربعاء، هنداوي، 2012، مصر .
7) أبو العتاهية .، ديوان أبي العتاهية، داربيروت للطباعة، 2006.بيروت .
8) هويدي صالح. المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، (المجلد الاولى).دار نينوي -، سوريا:،
9) يوسف وغليسي.، النقد الجزائري المعاصر من الأنسنية إلى الألسنية . اصدارات رابطة الإبداع الثقافية .2002، الجزائر .